**المحاضرة الثانية: المنطق وأصل المناهج الفلسفية**

 مما لا شك فيه أن علم المنطق هو العلم بالقوانين التي تنظم الفكر الإنساني و طريقة التفكير لمنع تلك العملية من الخلل و الخطأ. فإذا أخطأنا في المقدمات  أو في التصور والنظر، أخطأنا في النتائج لا محالة. والعكس صحيح. فكان من الضروري أن نتفق على أسس و قواعد هي من متطلبات  العقل الرشيد  و الفكر السليم لكي نتخاطب بنفس اللغة و نسير إلى الأمام و تحت الضياء  في مجالات العلوم و المعارف. و ما سوى هذا فهو يعتبر سفسطة و جدل فارغ لا يوصل إلى نتيجة صالحة أبدا، ذلك أن الله سبحانه و تعالى فضل الإنسان بالعقل، و جعل للعقل طرقا فطرية في التفكير و التوصل إلى معرفة الحقائق. حافظ عليها الكثير من العقلاء  في تاريخ البشرية وطوّروها وعاشوا بها، واكتشفوا مصداقيتها نظريا،  وطمس نورها من انتكست فطرته.

و لم تتقدم علوم البشرية في تاريخ تطورها إلا انطلاقا من المنطق السليم الذي نظم مناهج العلوم و أعطى لكل علم ما يناسبه من منهاج أو مناهج، و لذلك يمكن أن نقول بأنه لا يمكن وجود منطق بلا مناهج بحث، و لا مناهج بحث بلا منطق.

**أولا: تعريف المنطق**

كلمة المنطق آتية من مادة النطق على صيغة المفعل اسم آلة، فكما المنجل والمصفاة... هي أسماء للوسيلة التي يتم بها فعل القطع و التصفية، فكذلك المنطق اسم للوسيلة التي يتم بها النطق.

و النطق يختلف عن التلفظ و التكلم في أنه لا يعني كل صوت صادر عن الحلق، إنما يعني ذلك اللفظ المنظم الذي يعبر عن مفهوم، و قد كان الأدب العربي يستخدم المنطق في اللفظ الذي يعبر عن معنى منظم، فمثلا حين ألّف ابن السكيت كتابا عن البحوث اللغوية و سماه بإصلاح المنطق، لم يكن يعني بذلك إصلاح اللفظ، بقدر ما كان يعني إصلاح الكلام الذي يعكس المعنى ليكون أفضل تعبير عنه، وعن طريق التوسع في الكلمة أخذت لفظة المنطق تتسع لمفهوم العقل أو الفهم أو ما أشبه ذلك، فالفلاسفة المسلمون الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية حين قالوا أن الإنسان حيوان ناطق، فإنما عنوا بهذه الكلمة (النطق) المعارف و العلوم، وليست (خاصة) القدرة على التحدث، و لذلك عبروا عن العقل بــ ( النفس الناطقة) لأنها مستكملة في جوهرها عقل بالفعل، فكان تعبيرهم ب( الإنسان حيوان ناطق) دليلا على أن مرادهم من النطق العقل، و على أن كلمة المنطق، تعني عندهم أداة العقل أو أداة العلم كما قال أرسطو. فالمنطق هو علم يعصم الذهن من الوقوع في الزلل أو الخطأ في التفكير.

وأما كلمة **لوجي** التي تعبر عن المنطق في اللغات الأوربية، استخدمت في التعبير عن كل عملية عقلية منتظمة، فإذا بالكلمة تدخل في لفظ كل علم من العلوم، فمثلا نقول بيولوجي لعلم الحياة و سوسيولوجي لعلم الإجتماع، و فسيولوجي لعلم وظائف الأعضاء.

وقد عرف أرسطو المنطق بأنه:" آلة العلم و موضوعه الحقيقي هو العلم نفسه أو صورة العلم". وابن سينا أحد شراح أرسطو لم يتجاوز هذا التعريف حيث عرف المنطق على أنه بمثابة:" الصناعة النظرية التي تعرفنا من أيّ الصور والمواد يكون

الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حدا، والقياس الصحيح الذي يسمى برهانا". وعرفه ابن سهلان الساوي أنه:" قانون صناعي عاصم للذهن عن الزلل، مميز لصواب الرأي عن الخطأ في العقائد، بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته". أما القديس توما الإكويني أحد أبرز أتباع أرسطو من الفلاسفة المسيحيين، فقد قال عن المنطق:" بأنه الفن الذي يقودنا بنظام و سهولة و بدون خطأ في عمليات العقل الاستدلالية".

**ثانيا: المنطق بين مؤيديه و رافضيه**

يرى مؤيدي المنطق أن هذا الأخير ضرورة لازمة للعقل، وهذا ما أكد عليه مجموعة من المناطقة من العصر القديم إلى العصر الوسيط واستمرارا مع بدايات العصر الحديث، وعلى رأسهم المؤسس الأول **أرسطو** الذي أولى اهتماما خاصا بهذا العلم واعتبره أشرف علم وهو يقول عنه: " علم السير الصحيح أو علم قوانين الفكر الذي يميز بين الصحيح والفاسد من أفعال العقل" ، وقال عنه أيضا: "إنه الآلة التي تعصم العقل من الوقوع في الخطأ". ومن بين الذين قالو بأهمية المنطق ودوره في الحفاظ على سلامة الفكر في العصور القديمة نذكر **الرواقيين** الذين أبدعوا وأضافوا في المنطق الأرسطي مثل" نظرية القياس الشرطي" ، وغيرهم أمثال " **فورفوريوس** " الذي شرح الكليات الخمس بشجرته المعروفة، أما في العصور الوسطى فنجد العديد من الفلاسفة الكبار من أتباع أرسطو تأثروا بهذا العلم جراء اتصالهم واحتكاكهم بالحضارة اليونانية، وأبرزهم المعلم الثاني **أبو نصر الفارابي** الذي اعتبره رئيس العلوم لنفاذ حكمه فيها ويظهر ذلك من خلال قوله:" فصناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي من شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق ". بالإضافة إلى هؤلاء نجد الشيخ الرئيس **ابن سينا** إذ كان يصفه بخادم العلوم وهو يقول عنه:" المنطق هو الصناعة النظرية التي تعرفنا من أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حدا، والقياس الصحيح الذي يسمى برهانا". وبلغت قمة المنطق ذروتها حتى مع العلماء الأصوليين، فنجد **أبو حامد الغزالي** الذي قال :" إن من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه أصلا " ، وظل يحظى بهذه القيمة حتى مع الغرب المسيحي، فها هو القديس **توما** **الإكويني** الذي كان يعتبر المنطق: "الفن الذي يقودنا بنظام وسهولة وبدون خطأ في عمليات العقل الاستدلالية ".

في مقابل المؤيدين هناك المعارضين لهذا المنطق الذين اعتبروا أن "المنطق عقيم ولا ضرورة تقتضيه" لأن هذا الأخير فيه العديد من العيوب والنقائص ومن بين هذه العيوب أنه مجرد تحصيل حاصل أي أنه لا يقدم لنا نتائج جديدة، وفي هذا يرى الفيلسوف **ديكارت** أن القياس لا يسمح لنا بالاكتشاف أي لا يقدم لنا الجديد، وهذا ما يؤكده **هنري بوانكاريه** في قوله: "لا يمكن أن يعلمنا القياس شيئا جوهريا جديدا" ومن بين الرافضين أيضا لمنطق أرسطو نجد الفيلسوف الإنجليزي **برتراند رسل** الذي يرى هو الآخر أن المنطق ظل متأخرا كما هو عند أرسطو بسبب ارتباطه بالفلسفة وبمواضيعها الميتافيزيقية، وهذا ما جعل لغته غير دقيقة كلغة الرياضيات، وبالتالي فمعرفتنا للمنطق الصوري لا تحمي تفكيرنا، ولا تجعل منه منتجا، بل معرفتنا للمنطق الذي تتحدث به الرياضيات هو الذي يمنع تفكيرنا من الوقوع في الخطأ، وهو منطق القوانين والعلاقات والدوال .

وقد أطلق الفقهاء المسلمين من قبلهم هذه الاعتراضات حيث نجد شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عارض المنطق الأرسطي، ففي نظره هو عقيم دون جدوى، وكذلك منطق خاص بالتربية اليونانية، ولقد أعطى ابن تيمية منطقا جديدا وهو المنطق الإسلامي البديل للمنطق الأرسطي. ونجد ابن الصلاح يحرم الاشتغال بالمنطق، لأنه صناعة دخيلة على العرب، نشأ في

بيئة مخالفة عن بيئتنا، كما حرم الاشتغال بالفلسفة واعتبرها شرا، وبما أن المنطق مبحث من مباحثها، فهو أيضا شر حيث يقول: " إن المنطق مدخل الفلسفة، ومدخل الشر شر". إن هذه الانتقادات التي وجهت للمنطق الصوري كانت دافعا لظهور أشكال أخرى للمنطق كالمنطق الرمزي " اللوجستيك" وفيه استعاض المناطقة عن ألفاظ اللغة بالرموز.

**ثالثا: العلاقة بين المنطق و مناهج البحث**

 لقد شهدت أوروبا في عصر التنوير، تغيرات كبرى بسبب التحولات الفكرية والعلمية والدينية، التي شكلت تهديدا مباشرا للسلطتين السياسية والدينية، اللتين أخذتا في التفكك التدريجي، والانتقال إلى عهد جديد تبلورت ملامحه في أواخر القرن الـ18 وبدايات الثورة الصناعية في القرن الـ19. وتكمن أهمية هذا العصر في التخلص التدريجي من هيمنة الكنيسة، وتجريدها من هيبتها، وتأسيس مرحلة أوروبية جديدة، ويتفق معظم الباحثين الغربيين على القول إن عصر التنوير يشكل منعطفا تاريخيا حاسما في تاريخ الحضارة الأوروبية، تشكلت فيه المبادئ والأسس التي تتحكم في الغرب حتى اليوم.

وبدأت عملية التنوير بالتدريج في إنجلترا وهولندا، ثم انتقلت إلى فرنسا وألمانيا، وغيرها من الدول الأوروبية على امتداد القرنين الـ17 والـ18 الميلاديين، وكانت تركز على قيمة السعادة البشرية والسعي وراء المعرفة عن طريق العقل والحواس والمثل العليا، كالحرية والعدل والمساواة والتسامح والأخوة، وتطالب بالحكم الدستوري. وقد شهد هذا العصر ثورتين أو اتجاهين فلسفيين مختلفين من اتجاهات البحث والتفكير، الأول الفلسفة القائمة على التجريب والملاحظة، ورائده الفيلسوف البريطاني فرانسيس بيكون الملقب بأبي المنهج التجريبي، أما الثاني فهو الفلسفة القائمة على العقل، والتي قادها الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت.

 **ـــــ فرنسيس بيكون:** كانت الفلسفة طوال القرون الوسطى تقوم على أساسٍ خطأ لا يمكن أن يؤدي إلى علمٍ جديد، فقد اتخذت القياس المنطقي سبيلًا لتأييد المذاهب والآراء، والقياس المنطقي وسيلةٌ عقيمة في كثيرٍ من وجوهه، لأنك مُضطر أن تُسلِّم بمُقدماته تسليمًا لا يجوز فيه الشك، فمهما أمعنتَ في البحث والاستنتاج، فأنت محصور في حدود المقدمات التي سلَّمتَ بها بادئ بدء، فإذا أُريد الإصلاح وانتشال الفلسفة من الهوَّة التي تردَّت فيها، فلا بدَّ من ثورة تهدم أسلوب البحث العتيق البالي، لهذا نهض بيكون ووضع أساسًا جديدًا للبحث كانت أولى خُطاه الملاحظة والتجربة، وقد اشترط فيهما أن تُستَخدَما في بطءٍ شديد، وحذرٍ شديد، والبطء والحذَر هما أبرز ما يَطبع بيكون بطابعه الخاص الذي يُميِّزه من أسلافه في العصور الوسطى والقديمة، فكثيرًا ما بدأ الفلاسفة بالملاحظة، ولكنهم كانوا يفسدون هذا البدء الصحيح بالتسرُّع بأن يقفزوا من ملاحظة الجزئيات إلى الأحكام الكلية العامة قفزًا لا يحتاطون فيه بالحذَر، فقد كانت تكفيهم مجموعةٌ قليلة من الأمثلة التي يستجمِعونها بالملاحظة ليُقيموا على أساسها ما شاءوا من نظرياتٍ فلسفية عامة، أما بيكون فيُحذِّر الناس ويوصيهم بالأناة والصبر، فلا يبدءون في مرحلة التعميم إلا إذا جمعوا من الأمثلة الجزئية أكبر عددٍ مستطاع.

أراد بيكون أن يضع للعقل الإنساني خطة جديدة يسير عليها من خلال كتابه:**( الأورغانون الجديد )،** ولكنه قبل أن يُقوِّض الأطلال القديمة ليُقيم في مكانها بناءه الجديد، عمَدَ إلى تطهير العقول من كل ما يشوبها من تعصُّب وجمود، فإنْ أردنا أن نفكر تفكيرًا سليمًا، وأن نبحث بحثًا منتجًا صحيحًا، فلا بدَّ أن نتخلص من هذه الأخطاء والأوهام الباطلة التي تحُول دون سلامة التفكير.

**أوهام القبيلة ( أوهام الجنس البشري) :** يقصد بهاتلك الأخطاء التي غُرِست في طبائع البشر بصفةٍ عامة، فقد يزعُم الإنسان باطلًا أنه مقياس الحقائق بما يملك من إدراك حسِّي وإدراك عقلي، والواقع أنَّ ما يُدركه الإنسان بعقله وحواسِّه ليس إلا صورة لنفسه أكثر منها تصويرًا للكون الخارجي «فليس العقل كالمرآة الصافية التي تعكس صوَر الأشياء كما هي تمامًا، ولكنه كالمرآة المُلتوية التي تمزج صورة نفسها بصورة الأشياء التي تُصدرها فتُصيبها بالفساد والتشويه.» ومن أخطاء العقل المطبوعة فيه أنه إذا سلَّم بصحَّة قضية ما — سواء كان تسليمه تقليدًا لعقيدة شائعة أم من أجل فائدة ينالها من صحَّة هذه القضية المعينة — فإنه يحاول أن يرغِم كلَّ شيءٍ آخر أن ينهض دليلًا على صحَّة قضيته تلك، فإن صادَفَه من الأمثلة الكثيرة ما يدلُّ على خطئها دلالة واضحة قاطعة، فإنه إما أن يُهملها أو يُصغِّر من شأنها أو يرفُضها في تعصُّبٍ ذميم، فأهون على نفسه رفض الحق من نبْذِ قضيةٍ ركَن إلى صحَّتها واعتقد بسلامتها زمنًا. وهكذا يُسارع الناس إلى ملاحظة الأمثلة والحوادث التي تؤيد آراءهم وعقائدهم ويُهملون أو يتجاهلون كلَّ دليل ينهض على بُطلان تلك الآراء والمعتقدات. فخليقٌ بالإنسان أن يُفكر فيما يؤيد رأيه، وفيما يُعارضه على السواء، حتى يخلص إلى الحق. ويتقدَّم بيكون إلى الناس عامة وطلاب العلم خاصة بهذا النُّصح: « ليأخذ كلُّ طالبٍ لعلم الطبيعة بهذه القاعدة، وهي: إنَّ كل شيء يتعلق به العقل ويُصِر عليه ويطمئنُّ إليه ينبغي أن يوضع موضع الشك... ولا يجوز أن نسمح للعقل بأن يثِبَ أو يطير من الحقائق الجزئية إلى القضايا العامة الشاملة … لا ينبغي أن نُمِدَّ العقل بالأجنحة، بل الأولى أن نُثقله بالأغلال حتى نحُول بينه وبين القفز والطيران».

**أوهام الكهف:** هي التصورات الخادعة التي يختص بها اﻹنسان كفرد لا كمجموع، «إن لكلِّ إنسان مغارة أو كهفًا خاصًّا به يعمل على كسْر أضواء الطبيعة والتغيير من لونها»، وليس هذا الكهف إلا شخصية الفرد التي تكوِّنها الطبيعة والبيئة والتغذية والتربية وسائر العوامل التي تُكوِّن الشخصية. ولمَّا كانت تلك العوامل مختلفةً باختلاف الأفراد، كان لكلِّ إنسانٍ نزعته الخاصة وأخطاؤه الخاصة، فبعض العقول ينزع بطبيعة تكوينه إلى التحليل وملاحظة أوجه التبايُن والخلاف بين الأشياء كالعلماء والفنانين وطائفة أخرى تميل إلى البناء والتركيب كالفلاسفة والشعراء، فتلاحظ أوجه الشَّبَه بين الأشياء. كذلك نرى فريقًا من الناس يتَّصِفون بالجمود، ويُعجَبون بالقديم إعجابًا شديدًا لا يرضَون عنه من الجديد بديلًا، وآخرين يتقبَّلون كل جديد، ويتحمَّسون له تحمُّسًا قويًّا، وقليل من الناس هم الذين يستطيعون أن يقِفوا موقف التوسُّط والاعتدال، فيُبقوا على القديم الصالح، ولا يرفضوا الجديد النافع، إذ الحقيقة لا تعرف تحزُّبًا ولا تعصُّبًا. ومن أمثلة أوهام الكهف أيضًا ما تُخلِّفه مهنة الشخص في نفسه من الميول والنزعات التي تحصُر تفكيره في حدود مِهنته الضيِّقة.

**أوهام السوق**: هي تلك التي تنشأ من التجارة وتفاعل واجتماع الناس بعضهم مع بعض، ذلك لأن الناس يتبادلون الحديث باللغة التي صِيغت كلماتها وفقًا لعقلية السُّوق، فينشأ نتيجة لاستخدامها أخطاء في تصوراتنا وتعقّلنا. وسميت بأوهام السوق، لأن الناس متى اجتمعت كما تجتمع في الأسواق لا تملك أداة للمناقشة وتبادل الأفكار سوى الألفاظ التي ترتبط بالحاجات العملية، ثم تسيطر بعد ذلك على تصوراتنا للأشياء.

**أوهام المسرح**: هي الناشئة مما تتخذه القضايا والنظريات والمذاهب الفلسفية المتوارثة عن الفلاسفة من مقام ونفوذ. فهذه كلها يتلقاها الناس عن الفلاسفة القدماء، كما يتلقى المشاهدون في المسرح كلمات الممثلين التي تلقى عليهم من دون نقد و تمحيص، فالأنظمة الفلسفية التي يتلقَّاها كل جيلٍ عن أسلافه ليست إلَّا روايات مسرحية تُمثِّل أكوانًا خلقها الفلاسفة بفِكرهم خلقًا كما يخلُق الروائي أشخاص روايته وحوادثها، فليس العالم الذي يُصوِّره أفلاطون مثلًا إلا عالمًا بناه هو وصوَّره كما شاء له عقله وخياله، وقد لا يتَّفِق مع الحقيقة الواقعة في شيء.

بعد أن فرغ بيكون من شرْح هذه الأوهام التي تُعرقِل العقل وتُعطله، انتهى به هذا الشرْح إلى نتيجةٍ آمنَ بها أشدَّ الإيمان، وهي أنَّ الداء كلَّ الداءِ إنما هو طريقة الاستنتاج التي كان يستخدمها رجال العصور الوسطى في تفكيرهم، إذ كانوا يُسلِّمون من أول الأمر بطائفةٍ من القضايا تسليمًا أعمى، ثم يتَّخذون من هذه القضايا نقطة ابتداء، ويعمدون إلى توليد النتائج منها، فكان مُستحيلًا أن تنكشِف لهم بذلك حقيقة جديدة، لأنهم محصورون مُقيَّدون بما سلَّموا به، مع أنها قد تكون هي نفسها مَوضعًا للشكِّ والنقض. وإذن فلا بدَّ لنا ألا نبدأ بالتسليم، ويجب أن نُخضِع كل قولٍ مهما كان مَبعثُه للملاحظة والتجربة، فإنك لو بدأت بالإيمان ببعض الحقائق، فسينتهي بك الأمر أخيرًا إلى الشك، ولكنك إذا بدأتَ السير بالشك والارتياب فلا بدَّ أن تنتهي إلى الحق واليقين. هكذا ينقُد «بيكون» طريقة الاستنتاج من مُقدِّمات مفروضة ولا يرضى أن يتَّخِذها الناس أسلوبًا لتفكيرهم، وهو لا يقِف عند الهدْم والنقض، ولكنه يُقدِّم لنا طريقةً علمية جديدة، طريقة الاستقراء تؤدي إلى الغاية التي يرضاها من كشْفٍ واختراع ينتهيان بخير الإنسان وسعادته، ويُهيِّئان له حياة فاضلة كاملة.

**2 ـــــ ديكارت:** إن مسألة المنهج ترتبط دائما باسم الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت، فهو يعتبر برأي الفلاسفة والمفكرين فيلسوف المنهج، كيف لا وهو واضع أسس الفلسفة الحديثة.

ولقد دشن ديكارت بدايته بعملية الشك، والشك عنده أساس منهجه، فهو يقول بأنه ينوي الشك في كل المعارف والحقائق والتصورات، غير ان هذا الشك ليس شكا من أجل الشك، وإنما من أجل البناء أي أنه شك منهجي علمي رياضي. على هذا الأساس فإن هذا المنهج يجد أساسه في مجال الرياضيات ، غير أن ديكارت حاول تطبيقه على القضايا الفلسفية والميتافزيقية بغرض الوصول إلى حقائق يقينية كما هو الشأن بالنسبة للحقائق الرياضية.

ولقد كان منهج ديكارت هو في نهاية المطاف حصيلة اهتمامه بالرياضيات، وقد أثبت من قبل في ميدان الفلسفة مدى اتساع نطاق النتائج التي يمكن أن يوصل إليها هذا المنهج، وكان ديكارت يؤمن بأن المنهج الذي أحرز كل هذا النجاح في ميدان الرياضيات، يمكن أن يمتد إلى ميادين أخرى.

إذا فما هي قواعد هذا المنهج؟

لقد حدد ديكارت في كتابه: **"مقال عن المنهج"** أربعة قواعد أساسية ينبغي على الإنسان إتباعها من أجل الوصول إلى المعرفة اليقينية:

**أ ــــ قاعدة البداهة:** حيث يقول ديكارت في هذه القاعدة " أن لا أتلقى على الإطلاق شيئا على أنه حق ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك، أي أن أعنى بتجنب التعجل والتشبث بالأحكام السابقة، وأن لا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل لعقلي في وضوح وتميز لا يكون لدي معهما أي مجال لوضعه موضع الشك". من خلال هذه القاعدة يدعونا ديكارت إلى الاستقلال من جميع الآراء السابقة والاعتقادات التي توصلنا لها وعن غير طريق العقل، وعدم التعجل في الحكم والتشبث بالأحكام السابقة دون أن نخضعها إلى العقل، لأن هذا الأخير هو الذي يصل إلى المعرفة اليقينية، وذلك عن طريق الحدس العقلي الذي يدرك به الأشياء مند الومضة الأولى في حقيقتها الكاملة.

**ب ــــ قاعدة التحليل:** في هذه القاعدة نقوم بتحليل وتقسيم المشكلات بقدر المستطاع " أن اقسم كل واحدة من المعضلات التي أبحثها إلى عدد من الأجزاء الممكنة واللازمة لحلها على أحسن وجه"، وتفيد قاعدة التحليل محاولة تحليل الحقائق، وذلك من خلال تقسيمها إلى أجزاء و إلى حد يسمح بدراستها وتحليلها.

**ج ــــ قاعدة التركيب:** يقول فيها ديكارت: " أن أرتب أفكاري، فأبدأ بأبسط الأمور وأيسرها معرفة، فالفكرة تكون أيسر عندما تكون متقدمة على غيرها في سلسلة الاستدلالات وتكون أكثر بداهة، أن أتدرج في الصعود شيئا فشيئا حتى أصل إلى معرفة أكثر الأمور تركيبا" حيث أن الفكر في سلاسل الإستنتاج له مراتب، فالفكرة البسيطة تكون متقدمة على الصعبة والصعبة أكثر تركيبيا من البسيطة، تعد مرحلة التركيب المرحلة التالية بعد القيام بالتحليل، حيث أنها مرحلة مهمة عند ديكارت لأنها تنبع من قاعدة التحليل وتنفتح على الرياضيات، فهي تطبيق للمنهج الرياضي على الفكر الفلسفي، لهذا يبدأ التفكير في الحقيقة البسيطة الأولى التي يبني على إثرها فيما بعد حقائق كبرى أي يتدرج منها إلى حقائق مركبة.

**د ــــ قاعدة الإحصاء:** هي قاعدة تدعونا إلى أن نتأكد أننا لم نغفل أي جزء من أجزاء المشكلة التي قمنا بتحليلها، وأن نقوم باستعراض الاستدلالات بحركة متصلة " أن أقوم في جميع الأحوال بإحصاءات كاملة ومراجعات عامة، تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا"، تعني وجوب عدم إغفال دراسة أي عنصر من عناصر المشكلة موضوع البحث.

هكذا نجد أن ديكارت جعل للتفكير والبحث في المعرفة الحقة منهجا صارما، وهو أول من استخدم هذا المنهج بدقة عالية في كتابه: (**تأملات في الفلسفة الأولى**)، حيث أنه طبق هذه القواعد بدقة متعالية، انطلق من الشك في كل المعارف التي تلقاها، والمعرفة التي اقتبسها عن طريق الحواس، شك في كل شيء، من وجود العالم ووجود الكائنات إلى وجوده هو نفسه، ومن كل شيء بقي أمر واضح لا يمكن الشك فيه، وهو فعل الشك ذاته، لم يكن بإمكانه الشك في أنه يشك، ومن خلال هذه النقطة، انطلق في البحث، وتبعه أمر أخر وهو التفكير، فلا يمكنه أن يشك دون أن يفكر، ومنه استدل على وجوده الذهني لا الجسدي، فلا يمكن لشيء أن يفكر دونما أن يكون موجودا، ومنه وضع الكوجيطو المعروف:" أنا أشك، أنا أفكر، إذن أنا موجود"، وتبعه بعد ذلك باستدلالات واثباتات عقلية على وجود النفس والعالم والله .

إن ديكارت بنسقه الفكري هذا فتح بابا آخر في الوجود الإنساني، فالعقل كما يصفه هو أنه أعدل قسمة وزعت بين الناس، وصار الإنسان مجبرا على أن يفكر انطلاقا من العقل ذاته، ووجوده مرتبط بمدى قدرته على مساءلة العقل والاعتماد عليه، فالتفكير هو آلية الوجود الإنساني، بمعنى إذا لم تكن تفكر عقليا فأنت ما زلت قاصرا على بلوغ مراتب الإنسانية على حد نظر ديكارت. وبهذا قد حرر ديكارت العقل الإنساني من الظلامية التي كانت تكبله، ونقّى معارفه التي امتلكها سابقا من الشوائب، ليضع الإنسان في مركز آخر من الوجود وهو الوجود العقلاني، ومن هنا كانت عقلانية ديكارت فاتحة لمجد إنساني.